الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤)

د. نبيل حيدري

ان أيّ فهم للموقف السوفياتي، خلال الفترة المتناولة، ينبغي ان يستند الى التذكير بمنطلقه، وهو منطلق اقليمي. فالاتحاد السوفياتي كان ينظر الى منظمة التحرير الفلسطينية كجزء لا يتجزّأ من المنطقة، بخلافاتها وصراعاتها. وندر ان صدرت عن موسكو مواقف مضمونها محض فلسطيني، منفصل عن الموقف من سوريا أو مصر، أو عن السياسات الاسرائيلية، اضافة الى استخدامها الفلسطينيين، في كثير من الاحيان، ورقة لتقليص دور الولايات المتحدة الاميركية في المنطقة. وكان هذا، طبعاً، تخييباً واضحاً لآمال اولئك الفلسطينيين الذين ما انفكّوا يبحثون عن نظرة خارجية، تقيم عازلاً، ولو نسبياً، بين محنتهم من جانب، وبين الأزمات العديدة التي تعجّ بها المنطقة من جانب آخر. ولكن الفلسطينيين تقبّلوا، بالتالي، هذه النظرة، ممّا أدّى الى قيام علاقة غير بسيطة، تميّزت بعدم الاتفاق على عدد من المسائل الرئيسة.

على أي حال، لم تشكّل الحرب التي اندلعت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ أي مفاجأة لموسكو، التي سارت معها، على الرغم من عدم كونها شريكة فيها. وتمّ، على الأثر، تبنّي مجموعة من المواقف العملية، تجسّدت، في خاتمة المطاف، تأييداً للجانب العربي، على الصعيدين، السياسي والعسكري. ففي اليوم الاول من الحرب، ساند الاعلام السوفياتي التفسير الاعلامي العربي بأن اسرائيل هي التي بدأت بالحرب على الجبهتين، المصرية والسورية. وقالت اذاعة موسكو باللغة العربية، ان «عملية ازالة التوتّر على الصعيد الدولي دعمت التضامن العالمي مع قضية العرب العادلة أكثر من أي وقت مضى»[١]. وفي اليوم التالي، أصدرت الحكومة السوفياتية بياناً حول الوضع في الشرق الاوسط، عزا العمليات العسكرية الى غياب التسوية السياسية، بسبب سياسة اسرائيل التوسّعية المدعومة من «الاوساط الامبريالية». واتّهم البيان اسرائيل بأنها جعلت من العنف والقرصنة سياسة الدولة الرسمية، ووتّرت الوضع بحشد قوات مسلّحة على خطوط وقف اطلاق النار، واستدعاء الاحتياط، و«أفلتت»، بالتالي، عقال العمليات العسكرية. وأوضح البيان، بالمقابل، ان العرب أظهروا ضبطاً للنفس، واستعداداً لتسوية سياسية عادلة وفق مبادىء الامم المتحدة، ولكن جهودهم اصطدمت، دائماً، بتعنّت اسرائيل. وأورد، أيضاً، ان «ما يحدث، اليوم، في الشرق الاوسط يؤيد، بقوة، الحقيقة الثابتة انه يستحيل اخماد بؤر التوتّر المتواصل واقامة سلام وطيد ومضمون لجميع دول وشعوب المنطقة، من دون التحرير الكامل لجميع الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل، ومن دون تأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي». وأعلن البيان وقوف الاتحاد السوفياتي